فكاهات

رواية

عواقب الغرور [1]

ذُكر ان رجلاً من اعيان الفرنسيس يقال لهُ اندريا كان ذا مالٍ وافر قد ورثهُ عن ذويهِ فخطر لهُ يوماً ان يتعاطى اعمال التجارة وكان من ذوي الخبرة بها والممارسين لها منذ صبوتهِ فشمر عن ساعد الجدّ وافرغ ما عندهُ من الحذق والاجتهاد غير ان الدهر ابى الا ان يعاكسهُ وتمنّع الحظ عن مساعدتهِ فلم تكن تجارتهُ في نجاح بل تأخرت احوالهُ وتوالت عليهِ الخسائر من جهات عديدة حتى اصبح على شفا الخراب . فبينا كان ذات يومٍ جالساً كعادتهِ على باب مخزنهِ وهو يفكر فيما آلت اليهِ حالهُ ويتبصر في طريقةٍ تدرأ عنهُ ما يتوقعهُ من سوء المصير اذا بفتًى يناهز الثامنة عشرة من عمرهِ قد جآء توًّا فوقف امامهُ وابتدرهُ بالسلام فاجابهُ وانتظر ان يذكر لهُ غرضهُ فقال الفتى انني انسانٌ شقيٌّ يا سيدي قد حرمت اهلي ووالديَّ منذ حداثتي وقضيت كل حياتي في البؤس الى الآن فهل لك ان تمنَّ عليَّ بخدمةٍ عندك فترحم نفساً شقية وتنقذ روحاً ربما اشتد عليها الكرب وسوَّلت لي الانتحار. فتوقف اندريا هنيهةً يتأمل في الفتى وكلامهِ ويفكر في حالتهِ وما انتهى اليهِ

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فرأى انهُ ليس الوحيد الذي اخنى عليهِ الدهر ومع ما هو فيهِ من ضيق ذات اليد وعدم مقدرتهِ على مساعدة الفتى وجد من نفسهِ ميلاً الى الأخذ بيدهِ واغاثتهِ فقال لهُ ما اسمك ايها الفتى وما الذي تحسنهُ من المعارف . فقال اسمي اوغست واما معارفي فاني مع اخنآء الدهر عليَّ وحرمانهِ لي اعتنآء الوالدين والاهل واسباب المعيشة لم اعدم شفقة رجلٍ من الافاضل ضمني الى نفسهِ وعني بتهذيبي وقد تلقيت دروسي في مدرسة السربون وحصلت على شهادات عديدة اطلعك عليها اذا شئت . قال اندريا وكيف تركك هذا المحسن الذي ذكرتهُ . قال انهُ لم يتركني ولكن الدهر لم يشأ ان يتمتعني بكمال السعادة بعد ما اذاقني من مرارة الشقآء فاني ما اتممت دروسي حتى توفي ذلك المحسن فجآءةً والا لما تأخر عن جعلي في مركزٍ امين او قسم لي جزءًا يسيراً من ثروتهِ . قال اندريا لا بأس يا اوغست فادخل الى محلي هذا فسأقبلك فيهِ تحت التجربة مدة شهر فاذا وجدت منك ما يرضيني ووجدت عندي ما يسرك بقيت فيهِ والا انصرفت من حيث اتيت . فقبل اوغست شاكراً ودخل مع اندريا الى المحل فافهمهُ قواعد اشغالهِ وفوض اليهِ العمل . وما ادرك كيفية الشغل حتى اخذ يدأب ويجد وهو يشتغل في ليلهِ اكثر من نهارهِ وكتب الله لهُ حظاً ووهبهُ حكمةً ودرايةً فتوفق في اعمالهِ وسرَّت العملآء من معاملتهِ فأخذت تتوارد عليهِ اسباب النجاح وما انتهى شهر التجربة حتى رأى اندريا تحسناً عظيماً في اشغالهِ وشعر بالارباح الناجمة فتعلق قلبهُ بأوغست ولم يعد يهمهُ سوى المحافظة عليهِ عندهُ فعيَّنهُ مديراً لاشغالهِ بمرتبٍ وافٍ وقسمٍ من ارباح المحل . ولم تزل تجارتهُ في تقدم ونجاح واتساع

نطاق حتى بلغ في السنة الاولى غاية عظيمة وعُدَّ اندريا بين أهم تجار فرنسا

اما اوغست فلم يكن يميل الى شيءٍ في العالم ولا يشغلهُ سوى الانتباه الى عملهِ فكان ينفق على نفسهِ الاجرة التي يقبضها ويبقي قسمهُ من الارباح عند صاحب المحل امانةً لهُ . ولم يدرِ اندريا كيف يكافئُ اوغست فاخذ يعاملهُ معاملتهُ لولدهِ وكان في كل اسبوع يدعوهُ مرتين او اكثر لتناول الطعام معهُ في بيتهِ . وكان لاندريا ابنةٌ في مقتبل الشباب يقال لها متيلدا جميلة الصورة تامة التهذيب كانت ترى اوغست على مائدة بيتهم وتسمع ثنآء والدها عليهِ فتعلقت بهِ تعلقاً شديداً واحبها اوغست اولاً محبة ابنة رئيسهِ ثم محبة اختٍ لهُ ثم انتفض فيهِ عرق الحب الحقيقي فاحبها محبة فتًى لفتاةٍ ستكون شريكة حياتهِ . ولما قوي فيهِ هذا الميل جعل يكثر من التردُّد على بيت اندريا ويبالغ في اظهار ميلهِ واحترامهِ للفتاة لكنهما لم يفاتح احدهما الآخر بشيءٍ من كلام الحب . وكان اوغست يثق انهُ مهما طرأ على متيلدا من الاحوال فهي لا تقبل سواهُ بعلاً لها كما وطد هو العزم ايضاً ان لا يتخذ غيرها عروساً لهُ

وفي ذات يومٍ استدعى اندريا اوغست فقال لهُ قد اتاني اليوم رجلٌ وبيدهِ هذه الحوالة عليك بمبلغ الف ليرة فما تقول فيها . فاخذ اوغست الحوالة باستغراب وتأملها ملياً ثم قال وهل عندي من المال ما يضاهي هذا المبلغ . قال اندريا ان قسمك من الارباح مفروز على حدة وارباحهُ تُضَمّ اليهِ وهو يقابل اضعاف هذا . قال اذاً انا اقبل الحوالة وارجو ان لا تؤخر ادآءها . فتعجب اندريا من ذلك لانهُ لم يكن يعلم ان لأوغست مداخلة مالية

مع احد واحب ان يستفهمهُ عن الامر لكنهُ سكت مخافة ان يكون ذلك نوعاً من الفضول . وفي اليوم الثاني عاد اليهِ الرجل فنقدهُ المبلغ متعجباً وقيدهُ على حساب اوغست . ثم لم يمضِ على ذلك اكثر من شهرٍ واحد حتى جاء الرجل ثانيةً بحوالة اخرى بنفس القيمة ولما سئل اوغست عن ذلك قطب حاجبيهِ قليلاً بدون ان يبدي اقل اعتراض ووقَّع على الحوالة ان تُدفع فزاد عجب اندريا من ذلك وقال لهُ انني كنت اجهل تماماً ان لك معاملة مالية مع احدٍ في العالم فهل لك ان تفيدني شيئاً عن هذا . قال اوغست اني ايام كنت في المدرسة كان لي صديقٌ من رصفآئي التلامذة لم يكن اخٌ يحب اخاهُ كما كان احدنا يحب الآخر واسمهُ ادمون دي برزاك وهو من اسرةٍ غنيةٍ لا يجهلها احد في فرنسا ومهما ذكرت لك عن صفات ادمون فلا اظنني وافياً بما فُطر عليهِ من الكرم وعزة النفس وحسن السيرة والكمالات الانسانية ولكنهُ كان مسرفاً جدًّا في سخآئهِ فكلما ارسل اليهِ والدهُ بمبلغٍ من المال اسرع في انفاقهِ وعاد يطلب سواهُ حتى سئم والدهُ منهُ فحرمهُ من ارثهِ وجحدهُ وبعد ما خرجنا من المدرسة لم اعد اسمع شيئاً عن ادمون حتى بلغني بعد بضع سنوات انهُ سافر الى الهند الغربية واثبت لي هذا الخبر الحوالتان اللتان وردتا عليَّ منهُ من هناك . وليس بيني وبين ادمون معاملات مالية وانما سلمت بدفع القيمة التي احال بها عليَّ لاني قدَّرت انهُ اما ان يكون في ضيق شديد وعلى الصديق اغاثة صديقهِ واما انهُ آخذٌ في تجارةٍ رابحة ولزمتهُ هذه المبالغ غير اني على كل الاحوال اتعجب من احالتهِ عليَّ بمثل هذا المقدار مع علمهِ حين سفرهِ انني لا املك شروى نقير فما ادري من

الذي اخبرهُ بحالتي الحاضرة . فتعجب اندريا من حسن نية اوغست وصمت ومضى على ما ذكرناهُ عدة اشهر الى ان كان اندريا جالساً الى جانب مكتب اوغست يراقب شغلهُ ويعجب ببراعتهِ فدخل عليهما فتًى جميل الطلعة رشيق القوام حسن البزَّة فحيَّاً ثم تفرَّس في اوغست وهجم عليهِ يقبّلهُ بشوقٍ عظيم وكان هذا الفتى هو ادمون وقد عاد من سفرهِ . وبعد ان جلس هنيهةً قام اندريا لشأنهِ وترك الصديقين يتحادثان واخذ ادمون يقص على اوغست ما كان من حديثهِ فقال انني سافرت الى الهند مدفوعاً الى ذلك بما لاقيتهُ من الضيق في بلادي وقد بذلت كل ما بوسعي لأَجد لي شغلاً ارتزق منهُ ورأيت هناك سوق المقامرة رائجة وانت تعلم كراهتي لها ولكن الفقر والذل دفعاني الى تلك الهوة فسقطت فيها وكنت تارةً اربح المال الوافر وتارةً اخسر آخر درهم واخيراً ترتب عليَّ دينٌ عظيم وكان قد بلغني ما صارت اليهِ احوالك فأحلت عليك بالالف الاولى ورأى الناس هنالك استقامتي فوثقوا بي مرةً ثانية فعدت وخسرت الفاً اخرى وقيمتها من مالك ايضاً . ثم عمدت الى اللعب علَّني احصّل ما يفي ديني لك ان لم احصل زيادة عن ذلك ما بسد مطامعي غير انني لسوء الحظ خسرت ايضاً وهذه المرة كانت خسارتي جسيمة وانا اخجل ان اطلب تعويضها منك . فبهت اوغست مفكراً في ما آلت اليهِ حالة ادمون ورأى ادمون ترددهُ فقال لهُ انني قد عاهدت الله على ان لا اتعاطى المقامرة ما حييت فان شئت ان تنزع عني العار باقراضي هذا المبلغ اعاهدك مقسماً بالله وبما بيننا من الحب انني انظر لي باباً من ابواب المكاسب الشرعية لافيكهُ وان لم تمدد يدك

لمساعدتي فانا هالكٌ لا محالة . فقال اوغست وكم المبلغ الذي تحتاج اليهِ الآن قال اربعة آلاف جناي فيصير مجموع ما لك عليَّ ستة آلاف جناي اكتب لك بها صكاً شرعياً وافيكها كلما حصلت شيئاً . فذُعر اوغست ولكنهُ اظهر الرزانة والسكينة ثم قام الى دفاترهِ ليرى المبلغ الذي يخصُّهُ فوجد انهُ يزيد قليلاً جدًّا عن المبلغ المطلوب . فتوقف حيناً ثم اخذ حوالةً بالقيمة فوقَّع عليها ودفعها الى ادمون فاخذها ادمون بعبرات الشكر وانصرف

وبعد ذلك اخذ اوغست ادمون الى بيت اندريا فعرفهم بهِ وكان ادمون كما ذكرنا طلق اللسان ثبت الجنان عليهِ ملامح الشرف والعظمة فخلب الجميع بكلامهِ حتى دهشت الام بجمالهِ وأُخذت الابنة برقيق عباراتهِ وحسن هندامهِ وتولع بهِ الاب حتى لم يعد يلوم اوغست على تهورهِ في تسليمهِ كل تلك المبالغ بل صمَّم انهُ ان احب ادمون ان يقترن بابنتهِ متيلدا يتخذ على نفسهِ ان يفي عنهُ المال الذي عليهِ لاوغست فضلاً عن البائنة (الدوطة) التي يهبها لابنتهِ

ولحظ اوغست انشغاف أُسرة اندريا بادمون وخاف عواقب الامر فعزم ان يفاتح متيلدا بالزواج ويسرع فيهِ ما امكنهُ ولكنهُ عاد فتذكر انهُ قد اعطى جميع مالهِ لادمون ولم يبقَ عندهُ سوى النزر اليسير فأنَّ بتلهفٍ عظيم ولزم السكوت . اما ادمون فما زال حبهُ يتزايد عند القوم وخصوصاً اندريا الذي اصبح يعزهُ اكثر من ولدهِ وخاطبهُ ادمون في امر ابنتهِ فصرَّح لهُ بما يضمرهُ وانهُ في اي ساعةٍ شاء الاقتران بها يمدهُ بمالٍ وافر ليفي ما عليهِ ويعيش في سعة وسرور . فقال ادمون اني كنت اود الاقتران بها

من هذا اليوم لولا بعض اشغال مهمة احب قضآءها قبل الزواج فلا بأس من ارجآء الامر قليلاً . وكان ادمون يأتي كل يوم الى بيت اندريا ويجالس متيلدا ويخرجان معاً ويزوران اماكن النزهة واللهو وهي مع مزيد تعلقها باوغست لم تسمع منهُ شيئاً من حديث الحب فلبثت حيرى بين الاثنين . وفي ذات يوم جآءها اوغست يدعوها ان تصحبهُ لحضور حفلة غنآءٍ عظيمة فقالت اشكرك ايها العزيز لكن قد دعاني اليها ادمون قبلك ووعدتهُ بالذهاب معهُ فسنلتقي بك هنالك فعضّ اوغست شفتهُ حتى ادماها وخرج . ولما كان الموعد انطلق اوغست الى الملعب واذا غربةٌ تقل اندريا وزوجتهُ وابنتهُ وادمون فدخلوا الى غرفةٍ مخصوصة وجلس اوغست في زاويةٍ تقابلها يراقب حركاتهم . وكانت تلك الليلة من ابهج الليالي واجملها قامت في نهايتها فتاةٌ رشيقة القوام حسنة الصورة عليها هيئة الحزن فاندفعت تغني بلحنٍ شجيّ رقت لهُ قلوب الحاضرين ولما فرغت استعادوها ثانيةً وثالثةً حتى لم يبقَ في الملعب الا من بكى لشجو غنآئها واخذ الناس يتسآءلون عنها فعلموا أن اسمها مرغريت وانها مربية لاولاد الكنتة ديدي

وفيما كان اوغست خارجاً من الملعب صادف احد اصدقآئهِ فترافقا في الطريق وجرى بينهما حديث مرغريت فسألهُ اوغست عنها وهل يعرف شيئاً من امرها فقال نعم هي امرأةٌ تزوجت من بضع سنوات وكان زوجها سيئ البخت ولا مال لديهِ فتركها وسافر الى الهند فاضطرّت الى الدخول في خدمة الكنتة حيث لا تزال الى الآن وهي منذ سافر زوجها الى اليوم لم تكد تحصل منهُ على خبر ولم تعلم شيئاً من احوالهِ وما ينويهِ من الرجوع اليها

فتدلهت من الحزن والقلق وهـذا هو السبب فيما سمعت من شجو غنآئها . ولبث الصاحبان متسايرين وهما يتنقلان في الاحاديث حتى وصل اوغست الى امام محلهِ فدخل ومضى الصديق في طريقهِ

اما اندريا فعاد الى بيتهِ وهو مُعجَب بغنآء مرغريت وصوتهـا الرخيم ورأى تأثيرها في زوجتهِ وابنتهِ لا يقل عن تأثيرها فيهِ فجعل يتكلم عنهـا وعن حركاتها واشاراتها وصمَّم اخيراً ان يدعوها الى بيتهِ يوماً للعشآء على امل ان يسمع صوتها ثانيةً . فقالت زوجتهُ نعم واني سأطلبها من الكنتة ديدي وانا على يقين بما بيني وبينها من الصداقة انها لا تتأخر عن اجابتي . قال اذاً سندعوها لتناول العشآء معنا مسآء الاحد القادم فقالت زوجتهُ بل ندعوها مسآء السبت وقالت الابنة يوم كذا فقال ادمون اذاً متى اتفقتم على يوم فاعلموني قبل الوقت مخافة ان يكون عندي اشغالٌ تمنعني من الحضور فقال الاب اذاً نفوض الامر اليك فمتى رأيت نفسك مستعدًّا فاعلمنا قبل بيوم لندعوها وهكذا اتفق الجميع

ولما كان بعد ايام وافى ادمون وقال لهم اني ساكون مستعدًّا للحضور مسآء غدٍ فاذا شئتم ان تدعوا الفتاة فافعلوا فذهبت الام وزارت الكنتة وتواعدت مع مرغريت ان تأتيهم في مسآء اليوم التالي . وفي مسآء ذلك اليوم جلس ادمون كعادتهِ بقرب متيلدا ولكنهُ لم يكن يحادثها كعادتهِ واعتذر بانهُ مصابٌ بصرعٍ شديد ويجب ان يذهب باكراً لينام استعداداً لليلة القادمة ولما بلغت الساعة العاشرة استأذن وخرج

وكان اوغست لما رأى قلة احتفال آل اندريا بهِ اخذ يقلل من زياراتهِ

لهم وكان يقضي اكثر لياليهِ في نادٍ بالقرب من بيت اندريا ويرى ادمون راجعاً من سهرتهِ فيغصُّ بريقهِ . ورأى ادمون في تلك الليلة المذكورة عائداً قبل الميعاد فتعجب من خروجهِ الباكر ودعتهُ نفسهُ لاستطلاع امرهِ فخرج يقتفي اثرهُ بدون ان يشعر بهِ حتى انتهى في اتباعهِ الى ساحةٍ صغيرة فيها بركةٌ جميلة يتفرَّع حولها اربعة طرق فلما وصل ادمون الى هناك وقف يراقب تلك الطرق كأنهُ ينتظر قدوم احد ثم توجه الى البركة فجلس الى حافتها . ولما رأى اوغست ذلك ظنهُ ينتظر صديقاً لهُ لموعدٍ بينهما فقفل راجعاً ولم يسر بضع خطوات حتى رأى الشرطي الموكل بحراسة تلك البقعة وكان من معارف اوغست فوقفا يتكلمان نحو نصف ساعة ثم افترقا وذهب كلٌّ الى محلهِ

ولما كان صباح الغد خرج اوغُست لينطلق الى شغلهِ وبينما هو في الطريق سمع باعة الجرائد وهم يجرون في ساحات المدينة ينادون بحادثة قتل فظيع . فلما سمع اوغست ذلك ابتاع جريدةً واخذ يتصفحها فاذا فيها ما يأتي . « في هذا الصباح وُجدت جثة مرغريت مربية اولاد الكنتة ديدي ملقاةً بجانب البركة في شارع ... وقد طُعنت طعنةً في صدرها نفذت الى ظهرها وطعنةً اخرى في عنقها اخترقتهُ من الوريد الى الوريد والحكومة مهتمة بالقبض على الجاني » . فشعر اوغست بارتعاش استولى على كل جسمهِ واخذ الجريدة وسار الى بيت اندريا فوجدهم وادمون مشتغلين بتزيين البيت استعداداً لمأدبة المسآء . فقال هل بلغكم ان مرغريت لا تأتي في هذه الليلة . قالوا لا وكيف ذلك . قال انها قد قُضي عليها في هذا الليل قتلاً ودفع اليهم

الجريدة فلما اطلعوا عليها ادهشهم ذلك الخبر الفجآئي واخذ منهم الاسف اشدّ مأخذ على شباب الفتاة وتلهفوا لموتها العاجل وقال اندريا انهُ يهب الف جناي لمن يصل الى معرفة القاتل . واهتمت الشرطة بالبحث في كل ناحية فلم يقفوا للقاتل على اثر وقرر الشرطي الحارس انهُ وقف هنيهةً يتكلم مع اوغست ثم ذهب الى البركة فطاف من حولها فلم يكن ثمت شيء ولكنهُ لما عاد ثانيةً وجد الجثة ملقاةً على الارض ولم يسمع اقلّ حركة في كل تلك الجهة

ودام بحث الحكومة ولهج الجرائد نحو شهرين بدون جدوى ثم اخذ القوم يتناسون تلك الحادثة الاَّ اوغست فانهُ كان قد تغلب عليهِ حب الاخذ بثأر تلك المسكينة فكان يسعى جهدهُ للوقوف على جلية الخبر

وبعد مضي اسبوع آخر من ذلك التاريخ صرَّح ادمون لاندريا بعزمهِ على الاقتران بمتيلدا فاستعد القوم لذلك وعُين يوم العرس فنقدهُ اندريا عشرة آلاف جناي وفى منها اوغست ما له عليهِ واحتفظ بالباقي . وفي ذلك النهار ورد على متيلدا كتابٌ بطريق البريد ففتحتهُ بيدٍ مرتجفة واذا فيهِ

ايها الملَك الطاهر

لقد خُدِعتِ وغرَّكِ جمال ادمون واسرافهُ وتزوُّقهُ وانما هو كما يقال عن القبور المكلسة فاياكِ والوقوع في شركهِ واني صديقٌ اخلصكِ النصح واشير عليكِ ان تمتنعي من الاقتران بهِ وان ابيتِ فلا اقلّ من ان تؤخري العقد ولو ثلاثة ايام لتري من الذي تسلمين اليهِ مَلَك العفة وسلامة الضمير وتسبري غور الهوة التي ستسقطين فيها . استحلفكِ بالله ان تؤخري عرسكِ ثلاثة ايام فقط ان لم تشأئي فسخهُ البتة والاَّ فستندمين على شقآئكِ حين لا ينفع

الندم وتبكين حظكِ ما حييتِ كما ابكي انا حظَّ فتاةٍ لا يهمني في العالم الاَّ ان اراها في سعادةٍ وسلام نصيح

فجعلت متيلدا تراجع تلاوة الكتاب مفكّرةً في الامر ولكنها اخيراً غلب عليها الافتتان بجمال ادمون فحملت كلام ذلك النصيح على الحسد واخفت الكتاب بين بعض اوراقها السرية ولم يطلع احدٌ على ما كان وفي ذلك المسآء زُفَّت متيلدا الى ادمون في احتفالٍ شائق وفرح عظيم

وكان ادمون يودّ ان يرحل بعروسهِ الى بلادٍ اخرى فلم يوافقهُ والداها لانهُ صعب عليهما فرقتها في الحال وفي اليوم الثالث من زواجهما لم يعد يقوى ادمون على الصبر فصمم على الرحيل ونهض صباحاً فأعدَّ حوائجهُ وما انتصف النهار حتى جآءت العربة الى باب البيت لتقلّهما الى محطة القطار فاستندت متيلدا على ذراع زوجها بعد ان ودَّعت والديها ونزلت. ولما استويا في العربة وامرا السائق بالمسير اذا بفارس من الشرطة قد تقدم الى ادمون وقال لهُ هل حضرتك ادمون ... قال نعم. قال باسم الحكومة الفرنسوية استوقفك فاتبعني. فلما سمعت متيلدا ذلك تذكرت للحال الكتاب الذي اتاها وسفرت لها الحقيقة من ورآء حجب الخفآء ولم يبقَ عندها ريب ان الكتاب كان آتياً من اوغست فندمت على اهمالهِ وانهماكها بأدمون وتراكمت هذه الخواطر عليها دفعةً واحدة فسقطت مغشياً عليها فاسرع والداها وحملاها الى المنزل ولبث ادمون سائراً امام الشرطي حتى انتهى الى دار الحكومة وهناك أُلقي في السجن الى يوم المحاكمة

ولما كان اليوم المضروب لاصدار الحكم احتشدت الجماهير المؤلفة

وعُقد المجلس فقام الخطيب واخذ يشرح قصة ادمون فجزم بانهُ هو قاتل مرغريت على ما شهدت بهِ الدلائل وقامت عليهِ البينات ثم ذكر من قصتهِ انهُ بعد خروجهِ من المدرسة وهو لا يملك شروى نقير اقترن بالفتاة مرغريت وكان لديها مبلغٌ من المال فبذَّرهُ كعادتهِ ثم لما اشتدَّ بهِ الضيق سافر الى الهند ودخلت هي في خدمة الكنتة ديدي . فلما عاد في المدة الاخيرة سوَّلت لهُ نفسهُ الاقتران بابنة المسيو اندريا طمعاً في غنى والدها ولكن لما كان وجود زوجتهِ الاولى يحول دون ذلك اخذ يفكر في طريقة يتخلص بها منها وفي آخر الامر اوصل اليها كتاباً سرّياً يخبرها فيهِ انهُ قد عاد من سفرهِ وانهُ يودُّ مواجهتها في تلك الليلة سرًّا لسببٍ يعلمها بهِ متى التقيا . ولم تكن المسكينة تستعد لمثل تلك البشارة المفرحة فما صدّقت ان انتصف الليل حتى ذهبت الى محل الملتقى ولما رأت زوجها هجمت عليهِ تقبّلهُ فقابلها بطعنةٍ من خنجرهِ فسقطت ميتةً وعاد فارغ البال لاتمام مقاصدهِ الشريرة . وعليهِ فقد حكمتُ باسم الحكومة الفرنسوية ان يُحفظ ادمون في سجن الاشغال الشاقة الى ان نحصل على الاذن السامي في شنقهِ

وكان الحزن قد اثر شديداً في متيلدا حتى كانت تأخذها نوبٌ عصبية خشي الطبيب عليها منها وكانت لا تجد سلوةً وعزآءً الا باوغست فلم يكن يفارق سريرها الى ان شفيت فبقي لها صديقاً صدوقاً ولابيها ابناً اميناً وقضى حياتهُ عَزَباً يفضل الظمأ الشديد على ورود الشراب المبتذَل كما قيل

وتجتنب الاسودُ ورود مآءٍ اذا كان الكلاب ولغنَ فيهِ